

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

موافقة وزارة الإعلام

رقم: ٧٤٧٧٧ تاريخ: ٢٠٠٣/٧/١

دار الفيجاء

للطباعة والنشر والتوزيع



سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب: ١٣٤٦١

هاتف: ٢٢٣٦٩٣٣ - فاكس: ٢٢٣٠٢٠٨

بيروت - فردان - خلف سيار الدرك

هاتف: ٠٣/٦٦٨٤٨٩ - فاكس: ٠١/٧٩٨٤٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وإمام الحامدين وخير الساجدين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المجاهدين الصابرين ، ومن سار على هديه وهداهم من أمته أجمعين وبعد :

فهذا كتاب من نفائس ما ألف الشيخ الزاهد الورع ، العامل العالم ، ابن قيم الجوزية ، أفاض فيه القول في التعريف بخلقين من أخلاق المؤمنين المسلمين (الصبر والشكر) حيث استقصى ما ورد في بيان منزلة كل خلقٍ منهما ، مستدلاً بآيات الكتاب الكريم ، وأحاديث النبي الأمين ﷺ ، مُعَرِّجاً على آثار الصحابة والتابعين ، وأعلام الزهاد والصابرين .

ولم ينس أن يُعَرِّج فيه على قضية كثر الجدل حولها ، فعقد مناظرة بين فريقين ، فريق يرى تفضيل الغنى على الفقر ، وفريق يرى العكس ، حيث أدلى الفريق الثاني بأدلته بترجيح حال الفقير الصابر على الغني الشاكر ، ومن ثم ردّ عليهم الفريق الأول مفنديين مستدلين بما يروونه الحق .

وقد خلص الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى من ذلك كله إلى القول بأن التفضيل في الإسلام ليس إلا بالتقوى : « لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » .

فالفضيلة للغني الشاكر بمقدار تقواه ، وكذلك الحال بالنسبة للفقير الصابر وقد بين رحمه الله بالبيان الواضح الجلي الذي لا لبس فيه أن الإنسان المؤمن هو بحاجة للصبر والشكر في نفس الوقت ، ولكن قد يغلب أحدهما على الآخر في بعض الأحيان .

فالغنى بحاجة إلى صبر وشكر ، والفقر بحاجة إليهما أيضاً ، حتى يبقى الإنسان واقفاً عند حدود الله تعالى مستحقاً للثواب منه تفضلاً .

ونظراً لأهمية هذا الكتاب ، ودقة معالجته لهذا الموضوع فقد كثرت العناية به وتعددت طبعاته .

وقد حاولت في هذه الطبعة أن أُصَحِّح ما وقعت فيه الطبعات السابقة من أوهام وأخطاء .

إضافة إلى ما تقدّم فقد حاولت أن أستوعب كل آثاره وأحاديثه تخريجاً وفق منهج معتدل .

فما كان من الأحاديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إلى الصحيح ، إلا إن كان في عزوه إلى مصدر آخر زيادة فائدة .

وكذلك الحال فيما كان في السنن الأربعة (أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه) فإنني لا أتجاوز العزو إليها أو إلى أحدها إلا لزيادة فائدة من بيان كثرة مخرجين أو نص على تصحيح أو تحسين للحديث .

وأما ما كان من الأحاديث والآثار خارج هذه الكتب فإنني أحاول استيعاب التخريج .

هذا وقد جاءت الأحاديث والآثار الواردة في هذا الكتاب صالحة في جملتها للاحتجاج في مثل هذا الموضوع ، فلم أرغب أن أشوش ذهن القارئ وفكره بالكلام على حال الحديث وأحوال رواته ، إلا عندما يفيد ذلك فائدة جلية .

وسلاحظ القارئ الكريم أنني قمتُ بتخريج الأحاديث والآثار التي لم يذكرها المؤلف بنصّها وإنما أشار إليها إشارة عابرة ، حيث أوردتها في الهامش بنصّها مع التخريج .

وكذلك أفعل في الأحاديث والآثار التي يقتصر المؤلف على إيراد جزء منها ، فإنني أحرص على ذكرها بتمامها في الهامش ، إلا نادراً .

وهذا ما لا تجده في كل الطبعات السابقة .

ولم أنس أن أشرح الكلمات الغريبة التي تشتت الحاجة - فيما أرى - إلى بيانها وتوضيحها .

أسأل الله تعالى أن يجعله عملاً مبروراً ، وأن يوفقنا لما يُحِبُّ ويرضى ، وأن يرزقنا الإخلاص ويوفقنا لشكره وذكره .

إنّه على ما يشاء قدير .

دمشق ١٠ / ذي الحجة / ١٤٢٣ هـ

٢٠٠٣ / ٢ / ١١

وكتب

بديع السيد اللحام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الصّبور الشّكور العليّ الكبير ، السّميع البصير ، العليم القدير الذي شملت قدرته كلّ مقدور ، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور ، وأسَمَعَتْ دعوته لليوم الموعود أصحاب القبور ، قدّر مقادير الخلائق وآجالهم ، وكتب آثارهم وأعمالهم ، وقسم بينهم معاشهم وأمّوالهم ، وخلق الموت والحياة ليلوهم أيّهم أحسنّ عملاً ، وهو العزيز الغفور القاهر القادر فكلّ عسير عليه يسير ، وهو المولى النصير ، فنعم المولى ونعم النصير ، يُسَبِّحُ له ما في السّماوات وما في الأرض ، له المُلْكُ وله الحَمْدُ وهو على كلّ شيء قدير ، هو الذي خلّقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير ، خلق السّماوات والأرض بالحقّ وصوّركم فأحسنّ صوركم ، وإليه المصير ، يعلم ما تُسرون وما تُعلنون ، والله عليمٌ بذات الصدور .

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهٌ جلّ عن الشّبيه والنّظير ، وتعالى عن الشّريك والظّهير ، وتقدّس عن تعطيل المُلحدين ، كما تنزّه عن شبه المخلوقين ف : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ ﴾ [الشورى : ١١] .

وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله وخيرته من بريّته وصفوته من خليّته وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، أعرف الخلق به ، وأقومهم بخشيّته ، وأنصحهم لأُمّته ، وأصبرهم لحُكمه ، وأشكرهم لِنِعَمِهِ ، وأقربهم إليه وسيلة ، وأعلاهم عنده منزلة ، وأعظمهم عنده جاهاً ، وأوسعهم عنده شفاعَةً ، بعثه إلى الجنّة داعياً وللإيمان منادياً وفي مرضاته ساعياً وبالمعروف أمراً وعن المنكر ناهياً ، فبلغ رسالات ربّه ، وصدّع بأمره ، وتحمل في مرضاته ما لم يتحمّله بشرٌ سواه ، وقام لله بالصّبر والشّكر حقّ القيام ، حتّى بلغ رضاه ، فثبت في مقام الصّبر ، حتّى لم يلحقه أحدٌ من الصّابرين ، وترقى في درجة الشّكر حتّى علا فوق جميع الشّاكرين ، فحمده الله وملائكته ورُسُلُهُ وجميع المؤمنين ، ولذلك

خُصَّ بلواء الحمد دون جميع العالمين ، فآدم تحت لوائه ، ومن دونه من الأنبياء والمرسلين^(١) ، وجعل الحمد فاتحة كتابه الذي أنزله عليه كذلك فيما بلغنا وفي التوراة والإنجيل ، وجعله آخر دعوى أهل ثوابه الذين هداهم على يديه ، وسمى أمته الحامدين قبل أن يخرجهم إلى الوجود لحمدهم له على السراء والضراء والشدة والرخاء^(٢) ، وجعلهم أسبق الأمم إلى دار الثواب والجزاء ، فأقرب الخلق إلى لوائه أكثرهم حمداً لله وذكرًا ، كما أن أعلاهم منزلة أكثرهم صبراً وشكراً ، فصلَّى الله وملائكته وأنبيأوه ورسله وجميع المؤمنين عليه كما وحَّد الله وعرف به ودعا إليه وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فإنَّ الله سبحانه جعل الصَّبر جواداً لا يَكبو ، وصارماً لا يَنبو ، وجُنْداً لا يُهزم ، وحصناً حصيناً لا يُهدم ولا يُثَلَّم ، فهو والنَّصر أخوان شقيقان

رَضِيعَي لَبانٍ ثَدْيٍ أُمَّ تَقاسَما بِأَسْحَمِ داجٍ عَوْضَ لا يَتَفَرَّقُ

فالنَّصر مع الصَّبر ، والفرج مع الكرب ، والعسر مع اليسر ، وهو أنصَر لصاحبه من الرِّجال بلا عُدَّة ولا عُدَد ، ومحله من الظَّفر كمحلَّ الرأس من الجسد .

(١) أخرج الترمذي في تفسير القرآن ، ومن سورة بني إسرائيل ، رقم : (٣١٤٨) وفي أبواب المناقب رقم : (٣٦٩٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » وقال : هذا حديث حسن .

وأخرج في أبواب المناقب ، رقم (٣٦١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول النَّاسِ خُرُوجاً إذا بُعثوا وأنا خَطيئُهُمْ إذا وفدوا ، وأنا مُبَشِّرُهُمْ إذا أُيسُوا . لواء الحمد يومئذٍ بيدي ، وأنا أكرمُ وَلَدِ آدَمَ على رَبِّي ولا فخر » . وقال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

(٢) جاء التصريح بذلك في أكثر من حديث وكلها لا يخلو من ضعف ، إلا أن مجموعها يؤنس أن للحديث أصلاً يُركن إليه ، ومن هذه الأحاديث ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صِفَتِي أَحْمَدُ الْمُتَوَكِّلِ لَيْسَ بِفُظٍّ وَلَا غُلِيظٍ ، يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ ، وَلَا يُكَافِي بِالسَّيِّئَةِ ، مولده بمكة ومهاجره بطيبة وأمته الحمَّادون ، يأتزرون علي أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، أناجيلهم في صدورهم ، يصفون للصلاة كما يصفون للقتال ، قربانهم الذي يتقربون به إلي دماؤهم ، رهبان بالليل ليوثُّ بالنهار » . رواه الطبراني في الكبير ، (١٠ / رقم ١٠٠٤٦) قال في مجمع الزوائد (٨ / ٤٨٥) : « وفيه من لم أعرفهم » .

ولقد ضمن الوفي الصادق لأهله في مُحْكَم الكتاب أنه يوفِّيهم أجرهم بغير حساب ، وأخبرهم أنه معهم بهدائته ونصره العزيز وفتحهُ المُبين ، فقال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦] فظفر الصَّابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة ، وفازوا بها بنعمة الباطنة والظاهرة .

وجعل سبحانه الإمامة في الدِّين منوطة بالصَّبر واليقين ، فقال الله تعالى - ويقول اهتدى المهتدون - : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

وأخبر أن الصَّبر خير لأهله مؤكداً باليمين ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] .

وأخبر أن مع الصَّبر والتَّقوى لا يضرُّ كيد العدو ولو كان ذا تسلُّط ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

وأخبر عن نبيِّه يوسف الصَّديق أن صبره وتقواه أوصلاه إلى محلِّ العزِّ والتَّمكين ، فقال عزَّ من قائل : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٠] .

وعلق الفلاح بالصَّبر والتَّقوى فعقل ذلك عنه المؤمنون ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

وأخبر عنه محبته لأهله وفي ذلك أعظم ترغيب للرَّاعبين ، فقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

ولقد بشر الصَّابرين بثلاثٍ كلٍّ منها خير ممَّا عليه أهل الدُّنيا يتحاسدون ، فقال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٥] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥-١٥٧] .

وأوصى عباده بالاستعانة بالصَّبر والصَّلاة على نوائب الدُّنيا والدِّين ، فقال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا كَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] .

وجعل الفوز بالجنة والنَّجاة من النَّار لا يحظى به إلا الصَّابرون ، فقال تعالى : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١١] .

وأخبر أن الرَّغبة في ثوابه والإغراض عن الدُّنيا وزينتها لا ينالها إلا أولو الصَّبر

الباب الأول

في معنى الصبر لغة

واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها

أصل هذه الكلمة هو : المنع والحبس^(١) ، فالصبر حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكي ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما .

ويقال : صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا ، وَصَبَرَ نَفْسَهُ ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ [الكهف : ٢٨] وقال عنترة :

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لَذَلِكَ حُرَّةً تَرُسُو ، إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَّلَعُ

يقول : حبستُ نفسي عارفةً ، وهي نفسٌ حرٌّ يأنفُ ، لا نفسٌ عبدٌ لا أنفةَ له ، وقوله : « ترسو »^(٢) أي تثبت وتسنن إذا خافت نفس الجبان واضطربت .

ويقال : صَبَرْتُ فَلَانًا إِذَا حَبَسْتَهُ ، وَصَبَرْتُهُ - بِالْتَّشْدِيدِ - إِذَا حَمَلْتَهُ عَلَى الصَّبْرِ ، وفي حديث الذي أمسك رجلاً وقتله آخر : « يُقْتَلُ الْقَاتِلُ وَيَصْبِرُ الصَّابِرُ »^(٣) أي يُحْبَسُ للموت كما حبس من أمسكه للموت .

وصبرت الرجل إذا قتلته صبراً ، أي أمسكته للقتل .

وصبرته أيضاً وأصبرته إذا حبسته للحلف ، ومنه الحديث الصحيح : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالٌ أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ »^(٤) ومنه الحديث الذي في

القسامة : « وَلَا تَصْبِرْ يَمِينَهُ »^(١) حيثُ تُصْبِرُ الْإِيمَانُ ، والمصبورة اليمين المحلوف عليها ، وفي الحديث : « نَهَى عَنِ الْمَصْبُورَةِ »^(٢) وهي الشاة والدجاجة ونحوهما تصبر للموت فتربط فترمى حيث تموت .

وفعل هذا الباب : صَبَرْتُ أَصْبِرُ - بِالْفَتْحِ فِي الْمَاضِي ، والكسر في المستقبل - وَأَمَّا صَبَرْتُ أَصْبِرُ - بِالضَّمِّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ - فهو بمعنى الكفالة ، والصبير الكفيل ، كأنه حبس نفسه للغرم ، ومنه قولهم : اصبرني أي : اجعلني كفيلاً .

وقيل : أصل الكلمة من الشدة والقوة ، ومنه الصبر للدواء المعروف لشدة مرارته وكرهته .

قال الأصمعي : إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ الشَّدَّةَ بِكَمَالِهَا قِيلَ : لَقِيَهَا بِأَصْبَارِهَا ، ومنه الصبر - بضم الصاد - للأرض ذات الحصب لشدتها وصلابتها ، ومنه سميت الحرّة (أم صبار) ومنه قولهم : وقع القوم في أمرٍ صبور - بتشديد الباء - أي أمر شديد .

ومنه صبارة الشتاء - بتخفيف الباء وتشديد الراء - لشدة برده .

وقيل : مأخوذ من الجمع والضّم ، فالصابر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع والجزع .

ومنه صبرة الطعام ، وصبارة الحجارة .

والتحقيق أنّ في الصبر المعاني الثلاثة : (المنع والشدة والضّم) ويقال :

صَبَرَ إِذَا أَتَى بِالصَّبْرِ .

وَتَصَبَّرَ إِذَا تَكَلَّفَهُ وَاسْتَدَعَاهُ .

وَاصْطَبَرَ إِذَا اكْتَسَبَهُ وَتَعَلَّمَهُ .

وصابر إذا وقف خصمه في مقام الصبر .

لَا خَلْقَ لَهُمْ [٣٩] رقم : (٤٥٤٩) ومسلم في الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ، رقم : (١٣٨) بلفظ : « وهو عليه غضبان » . من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار ، باب القسامة في الجاهلية رقم : (٣٨٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنّف : رقم : (٨٧١٨) والبيهقي في السنن الكبرى رقم : (١٧٤٠٧) وهو بنحوه عند الترمذي رقم : (١٤٧٣) وابن خزيمة : (٢٥٥٢) . من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

(١) لسان العرب : مادة (صبر) .

(٢) لسان العرب : مادة (عرف) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف : رقم : (٢٧٧٩٦) والدارقطني في السنن (١٤٠ / ٣) والبيهقي في السنن الكبرى : رقم : (١٥٨٠٩) عن إسماعيل بن أمية مرفوعاً مُرسلاً ، ووقع في بعض رواياته : « ويحبس الممسك » .

(٤) أخرجه البخاري في التفسير (آل عمران) باب : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ »

وصَبَّرَ نفسه وغيره بالتَّشديد إذا حملها على الصَّبْرِ .
واسم الفاعل صابر وصَبَّار وصبور ومصابر ومصطبر ، فمصابر من صابر ، ومصطبر من اصْطَبَرَ ، وصابر من صَبِرَ ، وأما صَبَّار وصبور فمن أوزان المبالغة من الثلاثي كضَرَّاب وضروب والله أعلم .

* * *

في حقيقة الصَّبْرِ وكلام النَّاسِ فِيهِ

قد تقدَّم بيان معناه لغةً . وأما حقيقته : فهو خُلُقٌ فاضلٌ من أخلاق النَّفسِ يمتنع به من فعل ما لا يُحسِّن ولا يَجْمُل ، وهو قوة من قوى النَّفسِ التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها .
وسئل عنه الجنيّد بن محمد فقال : تجرُّع المرارة من غير تعَبِيس^(١) .
وقال ذو النون : هو التَّباعِد عن المخالفات ، والسُّكُون عند تجرُّع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة .
وقيل : الصَّبْر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .
وقيل : هو الغنى^(٢) في البلوى بلا ظهور شكوى .
وقال أبو عثمان : الصَّبَّار هو الذي عوَّد نفسه الهجوم على المكاره .
وقيل : الصَّبْر المقام على البلاء بحسن الصُّحبة كالمقام مع العافية .
ومعنى هذا : أنَّ الله على العبد عبودية في عافيته وفي بلائه ، فعليه أن يُحسِّن صحبة العافية بالشُّكر ، وصحبة البلاء بالصَّبْر .

وقال عمرو بن عثمان المكي : الصَّبْر هو الثَّبات مع الله سبحانه وتعالى ، وتلقّي بلائه بالرَّحْب والدَّعة .
ومعنى هذا : أنَّه يتلقَّى البلاء بصدر واسع لا يتعلَّق بالضَّيق والسَّخَط والشَّكوى .
وقال الخوَّاص : الصَّبْر الثَّبات على أحكام الكتاب والسُّنة .

(١) كل الأقوال التي سيوردها المؤلف رحمه الله مقتبسة من الرسالة القشيرية (١ / ٤٥٣ وما بعدها) .
(٢) في الرسالة القشيرية : « الفناء » بدل « الغنى » .

وَصَبَّرَ نفسه وغيره بالتَّشديد إذا حملها على الصَّبْرِ .
واسم الفاعل صابر وصَبَّار وصبور ومصابر ومصطبر ، فمصابر من صابر ، ومصطبر من اصْطَبَرَ ، وصابر من صَبِرَ ، وأما صَبَّار وصبور فمن أوزان المبالغة من الثلاثي كضَرَّاب وضروب والله أعلم .

* * *

في حقيقة الصَّبْرِ وكلام النَّاسِ فِيهِ

قد تقدَّم بيان معناه لغةً . وأما حقيقته : فهو خُلُقٌ فاضلٌ من أخلاق النَّفسِ يمتنع به من فعل ما لا يُحسِّن ولا يَجْمُل ، وهو قوة من قوى النَّفسِ التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها .
وسئل عنه الجنيّد بن محمد فقال : تجرُّع المرارة من غير تعَبِيس^(١) .
وقال ذو النون : هو التَّباعِد عن المخالفات ، والسُّكُون عند تجرُّع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة .
وقيل : الصَّبْر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .
وقيل : هو الغنى^(٢) في البلوى بلا ظهور شكوى .
وقال أبو عثمان : الصَّبَّار هو الذي عوَّد نفسه الهجوم على المكاره .
وقيل : الصَّبْر المقام على البلاء بحسن الصُّحبة كالمقام مع العافية .
ومعنى هذا : أنَّ الله على العبد عبودية في عافيته وفي بلائه ، فعليه أن يُحسِّن صحبة العافية بالشُّكر ، وصحبة البلاء بالصَّبْر .

وقال عمرو بن عثمان المكي : الصَّبْر هو الثَّبات مع الله سبحانه وتعالى ، وتلقّي بلائه بالرَّحْب والدَّعة .
ومعنى هذا : أنَّه يتلقَّى البلاء بصدر واسع لا يتعلَّق بالضَّيق والسَّخَط والشَّكوى .
وقال الخوَّاص : الصَّبْر الثَّبات على أحكام الكتاب والسُّنة .

(١) كل الأقوال التي سيوردها المؤلف رحمه الله مقتبسة من الرسالة القشيرية (١ / ٤٥٣ وما بعدها) .
(٢) في الرسالة القشيرية : « الفناء » بدل « الغنى » .

السادس : ظفرهم بمعية الله سبحانه لهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة :

١٥٣] .

قال أبو علي الدقاق : فاز الصَّابِرُونَ بعز الدَّارين لأنَّهم نالوا من الله معيَّته .

السابع : أنَّه جَمَعَ للصَّابِرِينَ ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم ، وهي : الصَّلَاة منه عليهم ، ورحمته لهم ، وهدايته إياهم ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّهَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥-١٥٧] .

وقال بعض السلف وقد عُرِّيَ على مصيبة نالته ، فقال : مالي لا أصبر وقد وعدني الله على الصَّبر ثلاث خصال كلُّ خصلة منها خير من الدنيا وما عليها .

الثامن : أنَّه سبحانه جعل الصَّبر عوناً وعدة ، وأمر بالاستعانة به فقال : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة : ٤٥] فمن لا صبر له لا عون له .

التاسع : أنَّه سبحانه علَّق النصر بالصَّبر والتَّقوى فقال تعالى : ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٥] ولهذا قال النَّبِيُّ ﷺ : « اعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ » ^(١) .

العاشر : أنَّه سبحانه جعل الصَّبر والتَّقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره ، فما استجنَّ العبدُ من ذلك جنة أعظم منهما ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

الحادي عشر : أنَّه سبحانه أخبر أنَّ ملائكته تسلَّم عليهم في الجنة بصبرهم ، كما

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد في المُسند رقم : (٢٨٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « يَا غُلَامُ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟ » فَقُلْتُ : بَلَى ، فَقَالَ : « احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ ، وَإِذَا سَأَلَ فَاسْأَلْ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيراً ، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » وأخرجه مختصراً الترمذي في صفة القيامة ، رقم : (٢٥١٦) وليس فيه موضع الشاهد ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

الباب الخامس عشر

في ذكر ما ورد في الصَّبر من نصوص الكتاب العزيز

قال الإمام أحمد رحمه الله : ذكر الله سبحانه الصَّبر في القرآن في تسعين موضعاً . اهـ .

ونحن نذكر الأنواع التي سيق فيها الصَّبر ، وهي عدة أنواع :

أحدها : الأمر به : كقوله : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] .

﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [الطور : ٤٨] .

الثاني : النهي عما يضاده : كقوله : ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ [آل عمران : ١٣٩] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ [القلم : ٤٨] .

وبالجملة فكلُّ ما نهى عنه فإنه يضاد الصَّبر المأمور به .

الثالث : تعليق الفلاح به : كقوله : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] فعَلَّقَ الفلاح بمجموع هذه الأمور .

الرابع : الإخبار عن مضاعفة أجر الصَّابِرِينَ على غيرهم ، كقوله : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [القصص : ٥٤] .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

قال سليمان بن القاسم : كلُّ عملٍ يُعرف ثوابه إِلَّا الصَّبر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] قال : كالماء المنهمر .

الخامس : تعليق الإمامة في الدِّين به وباليقين ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] فبالصَّبر واليقين تُنال الإمامة في الدِّين .

طمعها ، وخرقت السَّبْعَ الطَّبَاقَ دَعَوَاتِ التَّائِبِينَ وَالسَّائِلِينَ فَسَمِعَهَا ، وَوَسَّعَ الْخَلَائِقَ عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرَزَقَهُ ، ف ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

يجود على عبيده بالنَّوَالِ قبل السُّؤَالِ ، وَيُعْطِي سَائِلَهُ وَمُؤَمِّلَهُ فوق مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ مِنْهُمْ الْأَمَالُ ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَلَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُهُ عَدَدَ الْأَمْوَاجِ وَالْحَصَى وَالثَّرَابِ وَالرَّمَالِ ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

أَرْحَمُ بَعَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلِدِهَا ، وَأَفْرَحُ بِتَوْبَةِ التَّائِبِ مِنَ الْفَاقِدِ لِرَاحِلَتِهِ الَّتِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فِي الْأَرْضِ الْمَهْلِكَةِ إِذَا وَجَدَهَا .

وَأَشْكُرُ لِلْقَلِيلِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، فَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْخَيْرِ شَكَرَهَا وَحَمِدَهَا ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

تَعَرَّفَ إِلَى عِبَادِهِ بِأَسْمَائِهِ وَأَوْصَافِهِ ، وَتَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ بِحِلْمِهِ وَأَلَانِهِ ، وَلَمْ تَمْنَعِهِ مَعَاصِيهِمْ بَأَنَّ جَادَ عَلَيْهِمْ بِأَلَانِهِ ، وَوَعَدَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَحْسَنَ طَاعَتَهُ بِمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ يَوْمَ لِقَائِهِ ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

السَّعَادَةُ كُلُّهَا فِي طَاعَتِهِ ، وَالْأَرْبَاحُ كُلُّهَا فِي مَعَامَلَتِهِ ، وَالْمِحَنُ وَالْبَلَايَا كُلُّهَا فِي مَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ ، فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْفَعُ مِنْ شُكْرِهِ وَتَوْبَتِهِ ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

أَفَاضَ عَلَى خَلْقِهِ النُّعْمَةَ ، وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ، وَضَمَّنَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ : أَنَّ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ . ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

يُطَاعُ فَيُشْكَرُ ، وَطَاعَتُهُ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَفَضْلِهِ ، وَيَعْصَى فَيُحْلَمُ وَمَعْصِيَةُ الْعَبْدِ مِنْ ظُلْمِهِ وَجَهْلِهِ ، وَيَتُوبُ إِلَيْهِ فَاعِلُ الْقَبِيحِ فَيَغْفِرُ لَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ مِنْ أَهْلِهِ ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٥] .

الْحُسْنَةُ عِنْدَهُ بَعِشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ يَضَاعِفُهَا بِلا عَدَدٍ وَلَا حُسْبَانٍ ، وَالسَّيِّئَةُ عِنْدَهُ بِوَاحِدَةٍ وَمُصِيرُهَا إِلَى الْعَفْوِ وَالْغَفْرَانِ ، وَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ لَدَيْهِ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٥] .

بَابُهُ الْكَرِيمُ مَنَاخُ الْأَمَالِ وَمَحَطُّ الْأَوْزَارِ ، وَسَمَاءُ عَطَاهُ لَا تُقْلَعُ عَنِ الْغَيْثِ بَلْ هِيَ مَدْرَارٌ ، وَيَمِينُهُ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٥] .

خاتمة

يَا مَنْ عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ إِلَى اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ ، قَدْ رُفِعَ لَكَ عِلْمٌ فَشَمِّرْ إِلَيْهِ فَقَدْ أَمَكُنَ التَّشْمِيرُ ، وَاجْعَلْ سَيْرَكَ بَيْنَ مَطَالَعَةِ مَنَنِهِ وَمَشَاهِدَةِ عَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ وَالتَّقْصِيرِ ، فَمَا أَبْقَى مَشْهَدَ النُّعْمَةِ وَالذَّنْبِ لِلْعَارِفِ مِنْ حَسَنَةِ يَقُولٍ : هَذِهِ مُنْجِيَّتِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ، مَا الْمَعُولُ إِلَّا عَلَى عَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ ، فَكُلُّ أَحَدٍ إِلَيْهِمَا فَقِيرٌ .

أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ، أَنَا الْمَذْنِبُ الْمَسْكِينُ وَأَنْتَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ .

مَا تُسَاوِي أَعْمَالَكَ لَوْ سَلِمَتْ مِمَّا يُبْطِلُهَا أَدْنَى نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ مُرْتَهَنٌ بِشُكْرِهَا مِنْ حِينَ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْكَ ، فَهَلْ رَعَيْتَهَا بِاللَّهِ حَقَّ رِعَايَتِهَا وَهِيَ فِي تَصْرِيفِكَ وَطَوْعِ يَدِكَ ؟

فَتَعَلَّقْ بِحَبْلِ الرَّجَاءِ وَادْخُلْ مِنْ بَابِ التَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ .

نَهْجٌ لِلْعَبْدِ طَرِيقُ النِّجَاةِ ، وَفَتْحٌ لَهُ أَبْوَابُهَا .

وَعَرَفَهُ طَرُقَ تَحْصِيلِ السَّعَادَةِ وَأَعْطَاهُ أَسْبَابُهَا .

وَحَذَرَهُ مِنْ وَبَالِ مَعْصِيَتِهِ وَأَشْهَدَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ شَوْمَهَا وَعِقَابُهَا .

وَقَالَ : إِنْ أَطَعْتَ بِفَضْلِي وَأَنَا أَشْكُرُ ، وَإِنْ عَصَيْتَ بِقَضَائِي وَأَنَا أَغْفِرُ ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

أَزَاحَ عَنِ الْعَبْدِ الْعِلَلَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِذَّ بِهِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ .

وَوَعَدَهُ أَنْ يَشْكُرَ لَهُ الْقَلِيلَ مِنَ الْعَمَلِ ، وَيَغْفِرَ لَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

أَعْطَاهُ مَا يَشْكُرُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَشْكُرُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَى نَفْسِهِ لَا عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ ، وَوَعَدَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ لِنَفْسِهِ أَنْ يُحْسِنَ جَزَاءَهُ وَيَقْرَبَهُ لَدَيْهِ وَأَنْ يَغْفِرَ لَهُ خَطَايَاهُ إِذَا تَابَ مِنْهَا وَلَا يَفْضَحْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿ إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

وَتَقَتْ بِعَفْوِهِ هَفْوَاتِ الْمَذْنِبِينَ فَوَسَعَتْهَا ، وَعَكَفَتْ بِكَرَمِهِ آمَالَ الْمُحْسِنِينَ فَمَا قَطَعَ

لا يُلْقَى وصاياه إِلَّا الصَّابِرُونَ ، ولا يفوز بعطاياه إِلَّا الشَّاكِرُونَ ، ولا يهلك عليه إِلَّا الهالكُونَ ، ولا يشقى بعذابه إِلَّا المتمرّدون ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٥] .
فإِنَّكَ أَيُّهَا المتمرّد أَنْ يَأْخُذَكَ عَلَى غَرَّةٍ فَإِنَّهُ غَيُورٌ ، وَإِذَا أَقَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَهُوَ يَمُدُّكَ بِنِعْمَتِهِ فَاحْذَرِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَهْمَلْكَ لَكِنَّهُ صَبُورٌ ، وَبُشْرَاكَ أَيُّهَا الثَّائِبُ بِمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ﴿ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٠] .

من عِلِمَ أَنَّ الرَّبَّ شَكُورٌ تَنَوَّعَ فِي مَعَامِلَتِهِ ، ومن عَرَفَ أَنَّهُ وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ تَعَلَّقَ بِأَذْيَالِ مَغْفِرَتِهِ ، ومن عِلِمَ أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ لَمْ يِنَاسْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

من تَعَلَّقَ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ أَخَذَتْهُ بِيَدِهِ حَتَّى تُدْخِلَهُ عَلَيْهِ .

ومن سَارَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصَلَ إِلَيْهِ .

ومن أَحَبَّ أَحَبَّ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ ، وَكَانَتْ أَثَرُ شَيْءٍ لَدَيْهِ .

حياة القلوب فِي مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، وَكَمَالِ الْجَوَارِحِ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ وَالْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِ وَاللُّسْنَةِ بِذِكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِأَوْصَافِ مَدْحَتِهِ .

ف : أَهْلُ شُكْرِهِ أَهْلُ زِيَادَتِهِ .

وَأَهْلُ ذِكْرِهِ أَهْلُ مَجَالَسَتِهِ .

وَأَهْلُ طَاعَتِهِ أَهْلُ كِرَامَتِهِ .

وَأَهْلُ مَعْصِيَتِهِ لَا يَقْنَطُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ إِنْ تَابُوا فَهُوَ حَبِيبُهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا فَهُوَ طَبِيبُهُمْ ، يَتَلَبَّسُ بِأَنْوَاعِ الْمَصَائِبِ لِيَكْفُرَ عَنْهُمْ الْخَطَايَا ، وَيَطْهَرَهُمُ مِنَ الْمَعَائِبِ ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

والحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى ، وَكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ ، حَمْدًا يَمْلَأُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَمَا شَاءَ رَبُّنَا مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ ، بِمَجَامِعِ حَمْدِهِ كُلِّهَا مَا عَلِمْنَا مِنْهَا وَمَا لَمْ نَعْلَمْ ، عَلَى نِعَمِهِ كُلِّهَا مَا عَلِمْنَا مِنْهَا وَمَا لَمْ نَعْلَمْ ، عَدَدَ مَا حَمِدَهُ الْحَامِدُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ ، وَعَدَدَ مَا جَرَى بِهِ قَلَمُهُ وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ . . .	(٤٥)	١٣٤-٨٦-٨٣-٣٤-٩
كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ	(١٥١)	١٤١
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا . . .	(١٥٢)	١٤١-١٣٩
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ . . .	(١٥٣)	٨٣-٥٥-٥٣-٣٤
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ . . .	(١٥٥)	٨٣-٩
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا . . .	(١٥٦)	٨٣-٩
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ . . .	(١٥٧)	١٣٥-٨٣-٩
إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ . . .	(١٥٩)	٧٨
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا . . .	(١٦٠)	٧٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ . . .	(١٧٢)	١٤١
كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ . . .	(١٨٠)	٣١٣
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ . . .	(١٨٣)	٢٢٩
رُئِينَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . . .	(٢١٢)	١٤٠
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ . . .	(٢٤٧)	٢٢١
وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ	(٢٤٩)	١٣٥
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ . . .	(٢٦٤)	٧٥

سورة آل عمران

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ . . .	(٦)	٣٣٩
رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ . . .	(١٤)	٢١٩-٢٠٣-٢٠٢
قُلْ أُوْثِقْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ . . .	(١٥)	٢٠٣
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا . . .	(١٦)	٢٠٣
الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَاتِنِينَ . . .	(١٧)	٢٠٣

فهرس الأحاديث القدسية (☆)

الصفحة

٢٤٩	- اتوهم فحيوهم (لمن دخل الجنة أولاً)
٩٠	- ابتوا العبدى بيتاً فى الجنة
٩٨	- اختموا له على مثل عمله
٩٠	- إذا أخذت كريمتى عبدى فى الدنيا ...
٩٠	- إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه ...
٩٧	- إذا وجهت لعبد من عبيدى مصيبة ...
٣٢٤ ح	- ارجع إليه (إلى موسى) فقل له : يضع يده على متن ...
٢٦٥-٢٦٤	- اصبغوه فى الجنة صبغة (لأشقى رجل)
٢٦٤	- اصبغوه فى النار صبغة (لأنعم رجل)
٢٢٧	- أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك ...
١٥٤	- إن المؤمن عئدى بمنزلة كل خير
١٠٩-١٠٨	- اكتبوا لعبدى عمله
٢٢٧	- ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً؟
٤٧ ح	- إن الله كتب الحسنات والسيئات
٢١٧	- إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ...
١٩٧	- إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة
٥٥، ٥٤ ح	- أنا جليس من ذكرنى
١٠٤	- أنا قيدت عئدى ...
٥٤	- أنا مع عئدى ما ذكرنى ...
٩١	- انظروا ماذا يقول لعوده ؟
٢٤٩	- إنهم كانوا عباداً يعبدونى لا يشركون بى ...
٢٠٠	- بعزتى وجلالى ومكانى ما أردتم عبادتى؟
٢٦٥	- رُدُّوه إلى النار
٥٥	- فإذا أحببت عئدى كنت له سمعاً

(☆) (ح) إشارة لما ورد فى الحواشى .

الحديث

الصفحة

٥٣، ٥٢	- فى يسمع وبى يبصر ...
٨٩	- قبضتم ولد عئدى ...
١٣٤	- كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى ...
٥٣	- كنت سمعه الذى يسمع به ...
٩١	- لعئدى إن توفيته أن أدخله الجنة ...
١٨٧	- ما تقرَّب إليَّ عئدى بمثل ما افترضته عليه
٩٠	- ما لعئدى المؤمن عئدى جزاء إذا ...
٩٠	- من أذهب حبيبتيه ...
٥٣	- من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ...
١٦٢	- من صلى عليك صليت عليه
١٠٢	- هى نارى (الحمى) أسلطها على عئدى المؤمن
٥٥ ح	- يا إبراهيم إنه من عئدى ...
١٤٥	- يا ابن آدم اتقنى ونم حيث شئت
١٤٥	- يا ابن آدم إذا كنت تتقلب فى نعمتى ...
٢٦٤	- يا ابن آدم هل أصبت نعيماً؟
٢٦٥	- يا ابن آدم هل رأيت ما تكره ؟
٢٩٣	- يا دنيا اخدمى من خدمنى ...
١٠٤	- يا ملائكتى أنا قيدت عئدى
٥٥ ح	- يا موسى أنا جليس من ذكرنى
١٣٤	- يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلى
٢٢٨	- اليوم أنساك كما نسيتنى

* * *

فهرس الموضوعات

مقدمة التحقيق	٥
مقدمة المؤلف	٧
فصل في بيان سبب وضع الكتاب	١١
أبواب الكتاب	١٢
الباب الأول: في معنى الصبر	١٤
الباب الثاني: في حقيقة الصبر وكلام الناس فيه	١٧
أنواع الشكوى	١٩
الباب الثالث: في بيان أسماء الصبر بالإضافة إلى متعلّقه	٢١
الباب الرابع: في الفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة	٢٣
الباب الخامس: في انقسامه باعتبار محلّه	٢٥
الباب السادس: بيان أقسامه بحسب اختلاف قوته وضعفه	٢٧
فصل: في بيان حال المغرور الذي أذل سلطان الله	٢٩
فصل: في الحرب بين الهوى والطاعة	٣٠
فصل: المصارعة بين جنود الرحمن وجنود الشيطان	٣٠
الباب السابع: في ذكر أقسامه باعتبار متعلّقه	٣٢
الباب الثامن: في انقسامه باعتبار تعلّق الأحكام الخمسة به	٣٦
فصل: الصبر المحظور	٣٧
فصل: أمثلة الصبر المكروه	٣٨
فصل: الصبر المباح	٣٨
الباب التاسع: في بيان تفاوت درجات الصبر	٣٩
أدلة القائلين بتفضيل الصبر عن المحارم	٤٣
فصل: في وجوه تفضيل الصبر على فعل المأمور	٤٤
الباب العاشر: في انقسام الصبر إلى محمود ومذموم	٥١
فصل: أما الصبر المحمود فنوعان	٥٢
فصل: الصبر مع الله	٥٥

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكنعاني، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت.
- المصنّف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- المصنّف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.
- معجم الصحابة، عبد الباقي بن قانع أبو الحسين، تحقيق صلاح بن سالم المصراطي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.
- مكائد الشيطان، عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي الدنيا القرشي، مكتبة القرآن، مصر.
- المنتخب من مسند عبد، عبد بن حميد الكشي، صبحي البدر السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة.
- الموضوعات، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن عثمان،
- الموطأ، الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- نواذر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

* * *

١٧١	فصل: إن الله تعالى يحب أن يُسأل العافية
١٨٠	فصل: نوعا الحقوق الواجبة لله تعالى
١٨١	فصل: مقتضى شهود النعمة من المنعم
١٨٢	الباب الحادي والعشرون: في الحكم بين الفريقين
١٨٥	فصل: كل من الصبر والشكر داخل في حقيقة الآخر
١٩٥	فصل: الغنى والفقر من خلق الله تعالى
٢٠٢	فصل: جعل سبحانه وتعالى الغنى والفقر ابتلاءً وامتحاناً
٢٠٥	فصل: في المفاخرة بالدنيا
٢٠٦	فصل: التفاخر بالتكاثر
٢٠٦	فصل: مصير الدنيا وحقيقتها
٢٠٨	فصل: أمر الله تعالى عباده بالمسابقة إلى الخير
٢٠٩	فصل: في كون الشكر والصبر مطيئان
٢١١	الباب الثاني والعشرون: في اختلاف الناس في الغنى الشاكر والفقر الصابر
٢١٦	فصل: في أصح الأقوال في هذه المسألة
٢١٩	الباب الثالث والعشرون: في ذكر ما احتجت به الفقراء
٢٧٢	فصل: محبة الدنيا تعترض بين العبد وبين ما يعود عليه بنفع الآخرة
٢٧٣	فصل: محبة الدنيا تجعلها أكثر هم العبد
٢٧٣	فصل: محب الدنيا أشد الناس عذاباً بها
٢٧٤	فصل: محب الدنيا من أسفه الخلق
٢٧٩	فصل: في ذكر أمثلة تبين حقيقة الدنيا
٢٧٩	المثال الأول: أحوال العبد الثلاثة مع الدنيا
٢٨٠	المثال الثاني: الدنيا في القلب كالطعام في المعدة
٢٨١	المثال الثالث: في الاشتغال بنعيم الدنيا وما يعقبها من حسرات
٢٨٢	المثال الرابع: اغترار الناس بالدنيا وضعف إيمانهم بالآخرة
٢٨٣	المثال الخامس: مثله كظل شجرة
٢٨٣	المثال السادس: مثل الدنيا بالنسبة للآخرة
٢٨٤	المثال السابع: تمثيلها بزهرة الدنيا المنقضية
٢٨٦	المثال الثامن: تمثيلها بالخضرة الحلوة
٢٨٦	المثال التاسع: تمثيلها بالسخلة الميتة
٢٨٧	المثال العاشر: تمثيلها بركوب البحر

٦٠	الباب الحادي عشر: في الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام
٦٠	فصل: صبر اللئيم اضطراراً
٦٢	الباب الثاني عشر: في الأسباب التي تعين على الصبر
٦٤	فصل: في الأمور المقوية لباعث الدين
٧٢	الباب الثالث عشر: في بيان أن الإنسان لا يستغني عن الصبر
٧٤	فصل: في أن الصبر على السراء شديد
٧٤	فصل: أقسام الصبر في مخالفة الهوى
٧٥	فصل: في بيان ما يعين على الصبر عن المعاصي
٧٥	فصل: القسم الثاني مما لا يدخل تحت الاختيار
٧٦	فصل: القسم الثالث ما يكون وروده باختياره
٧٩	الباب الرابع عشر: في بيان أشق الصبر على النفوس
٨٢	الباب الخامس عشر: في ذكر ما ورد في الصبر من نصوص الكتاب العزيز
٨٧	الباب السادس عشر: في ذكر ما ورد فيه من نصوص السنة
١١١	الباب السابع عشر: في الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم في فضيلة الصبر
١١٧	فصل: حكم لبس المعزى ما يميزه
١١٨	الباب الثامن عشر: في ذكر أمور تتعلق بالمصيبة
١١٨	منها: البكاء على الميت
١٢٢	فصل: في حكم الندب والنياحة
١٢٧	فصل: في الكلام على حديث «إن الميت ليعذب بالنياحة عليه»
١٢٩	فصل: منهج حل الإشكال في الحديث
١٣٠	الباب التاسع عشر: الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر
١٣٣	الباب العشرون: التنازع في الأفضل من الصبر والشكر
١٣٣	حجج القائلين بأن الصبر أفضل
١٣٨	فصل: أدلة القائلين بأن الشكر أفضل
١٦٦	وجوه تخصيص النعمة الحادثة بالشكر
١٦٧	فصل: من النعم التي تحتاج الشكر جعل حوائج الناس إليك
١٦٩	فصل: لو عذب الله العباد لم يكن لهم ظالماً
١٧٠	فصل: شكر الله تعالى على كل حال

٢٨٧	المثال الحادي عشر: تمثيلها بإناء العسل الذي يتهافت عليه الذباب
٢٨٨	المثال الثاني عشر: تمثيلها بأفخاخ الطيور
٢٨٨	المثال الثالث عشر: مثل النار التي يتهافت فيها الفراش
٢٨٩	المثال الرابع عشر: مثل القوم الذين جاءهم النذير العريان
٢٨٩	المثال الخامس عشر: مثل الضيف الذي ظن أن الدار داره
٢٩١	المثال السادس عشر: مثل القوم العطشى ولم يجدوا إلا ماء البحر
٢٩١	المثال السابع عشر: مثل الإنسان مع أهله وعشيرته
٢٩٢	المثال الثامن عشر: مثل ملك بنى داراً عظيمة ودعى الرعية إلى المجيء إليها
٢٩٣	المثال التاسع عشر: مثل ملك خط مدينة وأمر الناس بالانتقال إليها
٢٩٥	المثال العشرون: مثل الثوب الذي شق وبقي معلقاً بخيط
٢٩٦	المثال الحادي والعشرون: مثل حوض الماء الذي لم يبق فيه إلا الكدر
٢٩٧	المثال الثاني والعشرون: مثل قوم في مدينة كثرت فيها الأحداث
٢٩٨	فصل: أمثلة أخرى للعشرون
٣٠٣	الباب الرابع والعشرون: في ذكر ما احتجت به الأغنياء
٣٢٢	الجهات التي تحصل منها الهموم والأحزان
٣٢٥	فصل: في تحلي النبي صلى الله عليه وسلم أعلى صفات الخير
٣٢٩	الباب الخامس والعشرون: في بيان الأمور المضادة للصبر
٣٣٠	فصل: في أنواع الشكوى
٣٣١	فصل: مما ينافي الصبر شق الثياب
٣٣٣	فصل: الهلع ينافي الصبر
٣٣٥	الباب السادس والعشرون: في بيان دخول الصبر والشكر في صفات الرب تعالى
٣٤٠	فصل: في تسميته سبحانه بالشكور
٣٤٤	خاتمة
٣٤٧	فهرس الآيات
٣٦٢	فهرس الأحاديث القدسية
٣٦٤	فهرس الأحاديث النبوية
٣٨٥	فهرس الأعلام
٣٨٩	فهرس الأشعار
٣٩٢	فهرس مصادر التحقيق والتعليق
٣٩٧	فهرس الموضوعات